الحلقة التاسعة

مدرسة شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فها نحن أولاء في موسم النفحات الربانية ، وأيام الفيوضات الإلهية، وليالي الخيرات والبركات ، وهانحن أولاء في شهر رمضان المبارك ، وأولئك هم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، يعيشون في رحابه ويستظلون بظله الوارف ، ويجلسون على موائده الرحبة الفسيحة ، تلك التي تحوى اعظم زاد للقلوب ، وتغذى بما تشتمل عليه من ألوان روحية النفوس ، إننا في شهر رمضان المبارك ، الشهر الزاخر بكل خير ، العامر بقراءة القران الكريم والتماس النفحات منه ، إنه شهر ذو شرف عظيم ، وفضل سابغ ، وهاهو ذا رسولنا رسول الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه - يخبرنا عن قيمة هذا الشهر القرآني ، ويبين لنا فضله وشرفه ، حيث أنبأ أمته بأن أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، كما أنه - عليه الصلاة والسلام - أشاد بهذا الشهر الكريم أيما إشادة ، وقرر أن المسلمين إذا كانوا يدركون تمام الإدراك حقيقته وسموه وعظمته، وما حباه الله من مزايا وخيرات ونفحات ، لو أنهم أدركوا كل الإدراك هذه الفضائل التي هي من خصائص شهر رمضان المبارك ؛ لتمنوا أن يكون هذا الشهر الكريم الزمن كله ، وألا يكون مقصورا علي أيام معدودات ، ولرغبوا أن يعيشوا كل حياتهم في ظل النفحات الرمضانية ، وفي هذا الشأن يقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -:

- لو يعلم الناس ما في رمضان من الخير لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها.

إن شهر رمضان معظم في الأرض وفي السماء وله شرفه وفضله ، وهو ظرف للصفاء النفسي والقرب من الله وفيه يسمو الصائم ويحلق بروحه في عالم الصفاء ، وبهذا الصفاء والنقاء والسمو ، يكون الصائم شبيها بملائكة الله المقربين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ..

إن هذا الشهر الرمضاني القرآني ، لهو مدرسة كبري لا تباري ، وليست هناك مدرسة أخري تضارعها ، لأن رب العزة - جل شأنه - هو الذي أنشأ تلك المدرسة ولأن أستاذها هو خير البشرية محمد - صلي الله عليه وسلم - ، ومواد هذه المدرسة تختلف عن مواد غيرها من المدارس التي هي من صنع الإنسان ، إذ أنها ليست نظريات تحتاج إلى براهين ، وهي ليست معايير رياضية ولا معادلات ، وإنما هذه المواد علوم روحية إنسانية أخلاقية ، وصفاء نفسي ، وكمال حسي ومعنوي ، وعبودية حقيقية لله تبارك وتعالي ، وطاعة مستمرة للخالق جلت قدرته ، وخشوع له سبحانه وخضوع ، فإذا جد الإنسان واجتهد، واستفاد من هذه الدراسات المتميزة ، التي هي من صنع الله ، وصقل نفسه بما توحي به تلك المدرسة وما تهدف إليه ، فإنه - والحال هذه يحظي بالنجاح الحقيقي ، وينال شهادة التقدير من الرب القدير ، ويحصل علي مكافآت إلهية ، وعطايا ربانية ، وليست هذه المكافآت من النوع المتعارف عليه بيننا في دنيانا إنها ليست درجة وظيفية ، ولا علاوة تشجيعية أو تقديرية أو استثنائية ، وليست ربحا ماليا دنيويا زائلا ، ولكنها رحمة من الله الرحيم ، ومغفرة ورضوان عظيم، وهي عتق من النار وعذاب الجحيم ، وفوز بالجنة وما فيها من نعيم دائم ، وعز خالد ، وتمتع بما فيها بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب بشر ، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال :

- أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن أحد قبلي : أمّا واحدة: فإنه إذا كان أول ليلة منه نظر الله إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة ، وأما

الرابعة : فإن الله يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي ، أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي، وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعا (البيهقي).

إنها مكافآت نفيسة تتناسب مع كرم ربنا ، وإنه لعطاء واسع يتفق وفضل المنعم العظيم ، ولمن هذه المكافآت ؟ ولمن ذلك الفضل ؟ أهو لأي صائم كان صومه ، أم هو خاص بنوع معين من الصائمين ؟ إن هذا الفضل الرباني ليس لكل الصائمين ، وإنما هو لفئة معينة ولنوع خاص منهم ، إنه لأولئك الذين يصومون صوما حقيقيا ، ويؤدون تلك العبادة علي اكمل وجه واجمل صورة وأبدع كيفية ، ويتمثل الصوم الحقيقي في كف الصائم نفسه عن الأكل والشرب ومباشرة الزوجة من قبيل الفجر إلى غروب الشمس ، وكف جميع الجوارح وسائر الأعضاء عن كل ما يتنافي مع جلال فريضة الصيام ، وذلك بإمساك اللسان عن اغتياب الناس ، والسعي بينهم بالفساد ، وبمنع اليدين عن الشرور والآثام ، والرجلين عن السير في طريق الشيطان ، والأذنين عن سماع ما لا يرضي الرحمن والعينين عن النظر إلى المحرمات من النساء وبتطهير النفس من الحقد والحسد والعداوة والبغضاء وبسمو الروح ونقائها ، وبامتلاء القلب خوفا وخشية من الله ، وبتوثيق الصلة بين الصائم وبين رب العزة جل وعز ، إن هذا الصيام الذي يكون بتلك الصورة وعلي هذا النسق ، لهو الصيام الحقيقي ، الذي يتمثل فيه الصدق ويترتب عليه الأجر والثواب، والمسلم الذي يكون صومه بتلك الكيفية الإيمانية ، لهو الصائم الصادق مع ربه الذي يفوز بالرضا من الله ، ويحصل علي أجزل الأجر وأفضل المكافآت .

أيها الإخوة والأخوات : إن الله لنفحات كثيرة ، وإن نعم الخالق العظيم لغزيرة ، ولكنها تتضاعف في شهر رمضان المبارك ، ورب العزة - جل شأنه -، جعل أجر الصيام بلا حدود ولا حساب ، لأن الصوم منسوب إلى الله تعالي ، وهو الذي سيجازي علي ذلك الصوم المنسوب إليه ، وهذه النسبة تستلزم عظمة الأجر وضخامة الثواب ، فإذا كنا نريد الفضل من ربنا ، والجزاء العظيم من خالقنا ، فما علينا إلا أن ننقي صومنا من كل ما يدنسه ، وأن نستخدم أعضاءنا فيما

يرضي الله تبارك وتعالي، وبهذا ينظر الله إلينا نظرة رضا ، وبذلك يتجلي علينا خالقنا بالرحمة، ويغدق علينا كثيرا من إحسانه ، فيا أيها الصائم : زن صومك بميزان الإسلام ، واعرض علي قلبك حالك في شهر رمضان ، فإن وجدت صومك قد تحققت فيه المواصفات التي طلبها الإسلام ، وإذا رأيت أن قلبك مستريح لهذا الصوم وإنه لم يشب بدنس ، فاعلم أن ربك لن يحرمك من الفضل والأجر ، وإذا اكتشفت أن هناك شوائب دنست صومك ، فعليك إذاً أن تغير هذه الصورة ، وتنقي جسمك من الأخلاط والدنس ، لكي يكون الصوم مقبولا لدي الله ولتنال الخير والثواب العظيم من ربك ، والله الموفق إلى كل خير.